المرجعيات الثقافية في النص الأدبي السردي القديم مقدمة كليلة ودمنة

إعداد

باحث أول: نورا مُحَمَّد عمر

باحث ثاني: د. حبيب بوهرور

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم

جامعة قطر

Cultural references in an old literature text of Arabic narrative
–Kalila and Dimna introduction –

الملخص

تكمن أهمية البحث في الكشف عن المرجعيات والموروثات الثقافية التي تجلت في بيئة العصر العباسي؛ نظرًا لقلة الدراسات الثقافية في الساحة النقدية. وسيكون فلك اشتغال البحث هو (مقدمة- عرض الكتاب) باعتبارها بنية تحمل أنساقًا ثقافية مضمرة ومختبئة بشكل أو بآخر، تحت جمالية القصص، التي زخرفها بأسلوب راقٍ حكيم، ورمزية محنكة.

كما يهدف البحث إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات، والإشكالية البحثية المتمثلة في فهم الكيفية التي فُعّل بها النسق الثقافي في مقدمة كليلة ودمنة لابن المقفع. وذلك من خلال القصص الرمزية التي ألّفها ومرر عبرها الأنساق الثقافية المضمرة للعصر العباسي آنذاك، تحت عباءة الجمالي والبلاغي؛ وذلك لأن الفترة التاريخية التي عاصرها ابن المقفع باعتبارها فسيفساء ثقافية، لها ألوانها الإغريقية، والفارسية، والهندية، والعربية، وغيرها.

الكلمات الدالة: دراسات ثقافية- نقد ثقافي- النسق الثقافي.

Abstract

The importance of this research lies in the uncover cultural references and legacies that emerged in the times of the Abbasid era, due to the lack of cultural studies in the cultural criticism field. The scope of the research will be about the introduction written by Ibn Al-Mugafa for his book 'Kalilah and Dimnah'. Moreover, The introduction of his book is a structure that carries hidden cultural patterns, written by an eloquent style and sophisticated symbolism. Also,This research aims to answer several questions related to the way Ibn Al-Mugafa made cultural patterns in his introduction, and this is done by his symbolic stories that he wrote. He embedded the cultural patterns of the Abbasid period at that time, by using the beauty of rhetoric language.

Key words: Culture Studies – Culture criticism – Culture context

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من قبل ومن بعد، الحمد لله رب العالمين، أشهد أن لا إله إلا الله، شَهِدت بِوجوده آياته الباهِرة، ودلّت على كرم جُوده نِعمه الباطِنة والظاهرة، وسبَّحت بحمده الأفلاك الدائرة. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا مُحَمَّد عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، إذا سار سار النُّور معه، وإذا تكلّم كانت الحكمة مرفعه.

أمَّا بعدُ؛ مما لا شك فيه أن لكل مقال مقام -إن جاز التبديل- أي أن كل نص هو حاوٍ للمنطلقات الفكرية والثقافية الخاصة بمؤلفه. وظهر ذلك في كتاب «كَلِيلَة ودِمنَة» في مختلف أصوله بصورة قصدية واعية أو غير واعية؛ لإدراك المشهد الثقافي الذي أنتج الكتاب.

ولعبد الله بن المقفع الفضل في تجميع الكتاب وتوجيهه إلى مختلف القُراء، وذلك من خلال مجموعة من القصص استخدمها كوسيلة ليمرر من خلالها الأنظمة الرشيدة التي سعى إلى ترسيخها في المجتمع؛ بغية تفقيه المتلقي القصدي وهو السلطان (الحاكم)، والشعب، اللذان سارا بلا دليل إرشادي أو توجيهي، واصفًا في كتابه قصصًا جسدَّت طبيعة الحياة المتمازجة في العصر العباسي آنذاك، عندما تداخلت الحضارات وتثاقفت الأمم، وازدهرت الحركة الفكرية في الدولة العباسية، فأَهلّت مجموعة من العلوم والمعارف، والآداب الجديدة على الساحة، جمعت عصارة تلك الثقافات.

- **أقسام البحث:**

قُسِّم البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع:

المبحث الأول: الجانب النظري:

- المطلب الأول: ابن المقفع إنسانًا ومفكرًا.
- المطلب الثاني: السياق الثقافي في الدولة الأموية.
- المطلب الثالث: السياق الأيديولوجي في الدولة العباسية.
- المطلب الرابع: السياق الاقتصادي في الدولة العباسية.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي:

- المطلب الأول: تجليات النقد الثقافي في (مقدمة- عرض الكتاب).

مشكلة البحث:

يحاول البحث فهم المنظومات الثقافية في العصر العباسي، والمحمولات الثقافية التي حملتها مقدمة كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وفهم أنساقها المضمرة.

أسئلة البحث:

أمَّا تساؤلات البحث فهي:

١- ما هي الأسباب التي دعت إلى تمثل فعل المثاقفة (Culturalization)* في العصر العباسي؟

٢- ما هي أنساق العصر العباسي المضمرة التي اختبأت بين سطور مقدمة (عرض الكتاب) لابن المقفع؟

أهداف البحث:

١- معرفة المرجعيات الثقافية، والأيديولوجية، والثيولوجية (الدينية)، والاجتماعية، التي عاشها ابن المقفع.

٢- كشف الأسباب التي دفعت ابن المقفع لأن يؤلف كتابه (كليلة ودمنة)، بغية كشف هذه الأنظمة بتعقيداتها ومحمولاتها وأنساقها المضمرة التي حملها النص.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الكشف عن المرجعيات والموروثات الثقافية التي تجلت في بيئة العصر العباسي؛ نظرًا لقلة الدراسات الثقافية في الساحة النقدية. تلك التي جعلت عبد الله بن المقفع يُنتج كتابه (كليلة ودِمنة). وسيكون فلك اشتغال البحث هو مقدمة عرض

* تأثر الثقافات ببعضها البعض نتيجة الاتصال بين الشعوب والمجتمعات، وهي حالة من الاندماج الثقافي، أو ما يعرف عند علماء الأنثروبولوجيا (اكتساب الثقافة).

الكتاب؛ باعتبارها بنية تحمل أنساقًا ثقافية مضمرة ومختبئة بشكل أو بآخر، تحت جمالية القصص التي زخرفها بأسلوب راقٍ حكيم، ورمزية محنكة.

سبب الاختيار:

وعِلة اختيار كتاب كليلة ودمنة هو عمليات المثاقفة التي تجلت في العصر العباسي؛ نتيجة احتكاك العقل العربي والمسلم بالآخر (غير العربي، وغير المسلم)؛ فحمل كل إنسان بمختلف إثنيته، محمولاته ثقافاته، وأعرافه ومعارفه وفلسفته ودخل بها إلى الثقافة الجديدة، تلك التي صهرت هذه الثقافات وطمحت إلى أن يتعايشوا بسلام.

وهذا الغرض هو أحد أغراض الحِكم السديدة التي نادى بها ابن المقفع في كتابه، ولامسها في مُؤلفه حينما بانت هذه المثاقفات عندما ترجم الكتاب من الهندية إلى الفارسية، ثم من الفارسية إلى العربية. ولم يكتف بنقل ما جاء فيما سبق من ترجمات؛ بل أضاف الكثير فيه، وحاول في مجمل قصصه أن يقدم نصائح واعية للحاكم، وللحاشية، وللرعية، وللشعب.

عندما قام ابن المقفع بدور المرشد والموجه ليعيد الاعتبار للمنظومة الأخلاقية التي اختلت موازينها في العصر العباسي؛ بموجب ما حدث من حركات تثاقفية أذِن لها العصر العباسي بالحضور، وعلى عكس ما حدث للثقافات الأخرى في عهد الدولة الأموية؛ ولذلك كان على ابن المقفع أن يضع كتابًا يحكم هذه التداخلات والثقافات ينشر فيه مرتكزات المعارف الأخلاقية والقيمية، وينوّر العقول، فلا تنخرط في دنياها وتنسى آخرتها.

مصطلحات البحث:

- **المرجع لغة:** هو "عرّف لسان العرب المرجع على أنه: رَجَع يَرْجِع رَجْعًا ورُجُوعًا ورُجْعَى ورُجْعانًا ومَرْجِعًا من المصادر التي من فَعَلَ يَفْعِل على مَفْعِل، بالكسر"(١).

(١) منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، **لسان العرب**، تحقيق نخبة من الأساتذة (القاهرة: دار الحديث، ط١، ٢٠٠٣)، المجلد الرابع، مادة رجع، ص٧٧.

- **المرجع اصطلاحًا**: تغير مفهوم المرجع بحسب أدواره وتجلياته؛ فهناك مرجع ديني، ومرجع سياسي، ومرجع فكري، وما يقصده البحث هو المرجع الثقافي؛ وهو "فعل العودة إلى شيء ما، لبيان كيف يحيل موقع شيء إلى آخر يسبقه، كذلك هو فعل الرجوع أو الإسناد إلى أشياء أو أشخاص في نص أو خطاب"(١).

- **النقد الثقافي**: هو "فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء"(٢).

ومن خلال هذه التعريفات يُقصد بالمرجعيات الثقافية هي المخزون الفكري والحضاري والثقافي الذي يتأسس في الذاكرة، فيستحضره الكاتب أثناء عملية التأليف. وتشمل مجموع الأحداث التاريخية والثقافية والسياسية والرؤى والتصورات في ثقافة معينة، أو عند كاتب معين.

الدراسات السابقة:

١- الدراسة الأولى: دراسة بعنوان (الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية) لعبد الله إبراهيم، دولة قطر، مجلة علامات العدد ٢٣، ٢٠٠٥.

تحدث الكاتب عن أهمية المرجعيات الثقافية في السرديات، ويرى الكاتب أن توظيف إمكانيات السرد الروائية مثل: الاسترجاع، والقطع، والتداخل مع المرجعيات الثقافية، يجعل من الرواية عالمًا واسعًا مُتخيلًا من عوالم أخرى تتصل وتنفصل بحسب الأحداث

(١) نقلًا عن: بعزيز، سلاف، **التأصيل النظري لمصطلح المرجعية في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة**، (الجزائر، جامعة الشهيد حمة لخضر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، د. ت) المجلد ٧، العدد ٨، ص١٢٤.

(٢) الغذامي، عبد الله، **النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٣)، ص٨٣.

وسياقات التتابع. وخلُصت دراسته إلى رؤية بحثية مفادها أن السرديات تعتمد اعتمادًا كليًّا على المرجعيات الثقافية في تركيب مادتها التخيُّليَّة، وأن استثمار تلك المرجعيات يدّعم المادة الحكائية ويقوي عمادها. وتأسيسًا على ما سبق فإن دراسة عبد الله إبراهيم تتقاطع مع موضوع بحثي من حيث فهم أهمية المرجعيات الثقافية للنصوص السردية وتفعيلها.

٢- **الدراسة الثانية: توظيف المرجعيات الثقافية في شعر مُحَمَّد مردان- مُحَمَّد جواد علي، منشورات ضفاف/ دار الأمان للنشر والتوزيع/ منشورات الاختلاف ٢٠١٣.**

وضَّح الكاتب مفهوم المرجعيات الثقافية في دراسته، وأبان كيفية توظيفها ضمن المتون الشعرية. كما رصد دور المرجعيات الثقافية في وصل الحاضر بالماضي، من خلال استعادة أبرز أحداث الماضي بصورة حداثية لتجديد وتطوير الأعمال الأدبية بمختلف أجناسها الأدبية من شعر أو نثر. أما النموذج الذي طبَّق الكاتب دراسته عليه؛ فهو نص شعري من أشعار مُحَمَّد مردان؛ بُغية الكشف عن المضمرات الثقافية والنسقية التي تشكلت فيه. إضافة إلى ذلك، فقد حلّل تلك المرجعيات الثقافية وفهم كيفية استثمارها في النص. وكان سبب اختياره لهذا الموضوع؛ قلة الدراسات والأبحاث التي سلطت الضوء نحو المرجعيات الثقافية.

وتتداخل هذه الدراسة مع بحثي من حيث إن الباحث اشتغل على آلية المرجعيات الثقافية، وهي الآلية التي أستخدمها في بحثي، ونموذجه شعري بينما نموذجي سردي.

٣- **الدراسة الثالثة: المرجعيات الثقافية وأثرها في بناء الشخصية في لوحات سردية من السيرة الذاتية لأحمد درويش، التويجري، صالح بن عبد الله بن صالح. العدد ٣٨، الجزء١، جامعة بنها، كلية الآداب.**

اشتغل الكاتب على السيرة الذاتية لمحمود درويش من خلال آلية المرجعية الثقافية؛ إذ يرى في دراسته أن مكمن نجاح السيرة الذاتية يتجلى في تشربها للمرجعيات الثقافية. تلك التي تحوّل السيرة من حالة الجمود إلى حالة مرنة، متصلة ومتسلسلة عبر حلقات من

الأحداث والمذكرات الخاصة. وعليه تُعد منجمًا ثريًّا بالأحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي عاصرها مؤلفها، وربطها بالجوانب الثقافية التي عاصرها درويش. ومن ثم فكك التويجري سيرته الذاتية ودرس كلماتها وأنساقها المضمرة، المختبئة في الصيغة السردية لدرويش؛ ومن هنا تتقارب هذه الدراسة مع موضوع بحثي حول فهم المرجعيات الثقافية للكاتب، وإدراك أهميتها في تحليل النصوص ونقدها.

منهج البحث ومنهجيته:

بما أن كل بحث يقوم على منهجية معينة، فإن عماد البحث منهجيًّا هو النقد الثقافي (Culture Criticism)* وذلك لأن آليات النقد الثقافي هي آليات استنباطية للنصوص، يتم عبرها كشف الأنساق المضمرة بحسب وعي القارئ والباحث بهذه المضمرات، كما اعتمدت على آليات ومناهج أخرى تتغير وتتنامى بحسب تغير سيرورة البحث والخطة.

وستكون خطة البحث كالآتي: بداية إضاءات تنويرية في بيئة العصر الأموي وقيوده الفكرية والدينية، ثم بيان بيئة العصر العباسي الذي جاء مغايرًا للعصر الأموي. وأخيرًا قراءة نقدية ثقافية في مقدمة عرض الكتاب لابن المقفع بغية اكتشاف المضمرات الثقافية، التي جعلت من ابن المقفع أن ينتج هذه المقدمة في هذا الكتاب. وكل هذا التنقيب لن يكون بهدف الوصول إلى الجمالي والبلاغي والدلالي، بل بغية فهم الأنساق الخفية والمضمرة (Culture Context)** والأيدولوجية (Ideology)*** التي ساقت النص وأخفته تحت عباءة القص الجاذب، والمصاغ بلغة بلاغية سليمة، أي: الكشف الموضوعي لجوهر

* هو نشاط أو فعالية تعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها. أي هو نشاط يتناول مختلف المنجزات الفكرية والمعرفية.

** يأتي مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي بوصفه مفهومًا مركزيًّا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة، وتتوسل بهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة.

*** الأيديلوجية هي أفكار شاملة ومنظمة في المجال الاجتماعي والسياسي، تقوم بتفسير ما يحدث للناس.

النص، وأنساقه العامة: الدينية والتاريخية والحضارية والفكرية والسياسية والثقافية وغيرها من الأنساق.

وأود الإشارة إلى أن جميع المصطلحات الثقافية استقيتها من (معجم الدراسات الثقافية والنقد الثقافي) لسمير الخليل، و(معجم المصطلحات الأدبية) لسعد علوش، ودراسة أعدها الباحث مُحَمَّد بلعزوقي في (النقد الثقافي والماركسية)، وسأثبتها في جدول المصطلحات في نهاية البحث باللغتين.

حدود البحث:

حدود الزمانية: الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦٢-٧٥٠م)– الدولة العباسية (١٣٢هـ-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م).

الحدود المكانية: دمشق- بغداد.

الحدود الموضوعية: مقدمة عرض الكتاب لابن المقفع في كتاب (كليلة ودمنة).

إجراءات وأدوات البحث:

استخدمت آلية النقد الثقافي وآلية الوصف والتحليل، لرصد المرجعيات الثقافية التي وردت في المقدمة وتحليلها بغية فهم أنساقها المضمرة.

المبحث الأول: الجانب النظري

المطلب الأول: ابن المقفع إنسانًا ومفكرًا:

هو روزبة بن داذويه، وسمي لاحقًا أبو مُحَمَّد عبد الله بن المقفع (١٠٦هـ-١٤٢هـ)، ولد في جور؛ إحدى بلاد فارس، وهو "أحد البلغاء والفصحاء ورأس الكتاب، وأولي الإنشاء، من نظراء عبد الحميد الكاتب، وكان من مجوس فارس، فأسلم على يد الأمير

عيسى عم السفاح"[١]. ومن المفارقات الثقافية أن والد عبد الله بن المقفع (داذويه)، اتهم بسرقة المال العام من بلاد المسلمين؛ فنكل به الحجاج بن يوسف الثقفي، وضربه على يديه بشدة حتى تفقعتا؛ ولذلك سُمي ابنه (ابن المقفع)، وفي الوقت ذاته تقدَّم ابن المقفع ليُحسِّن من سلوكيات الناس عامة والحُكام خاصة، وليدحض الأفعال المشينة في المجتمع الذي عاش فيه. وعُرف بإسهاماته في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية والفكرية.

أتقن ابن المقفع العديد من اللغات: الفارسية لغته الأم، والعربية، واليونانية. ولما كانت اللغة هي وعاء حامل للثقافة (Culture)*، فيمكن القول: إن ابن المقفع تشّرب هذه الثقافات بتباياتها الفكرية والثقافية والسياسية. فضلًا عن تميزه بثقافته المتعددة وعلمه الواسع، كما عُرف بعقله الحكيم المتقد، وحكمته الرشيدة التي مكّنته من تأليف العديد من الكتب ومنها: الدرة الثمينة، الأدب الكبير، الأدب الصغير، رسالة الصحابة، وغيرها من المؤلفات. وتأسيسًا على أصول ابن المقفع الفارسية وإتقانه العربية –فيما بعد– تمكّن من ترجمة العديد من الكتب ومنها: (كَلِيلَة ودِمنَة)، الذي نقله من أصوله الهندية والفارسية (الفهلوية) إلى العربية. وفي ذلك بيان إلى تعدد ثقافته وعمليات المثاقفة التي مر بها؛ لأن عمليات الترجمة تتطلب فهمًا عميقًا بثقافة الآخر الذي يترجم عنه، ولأن ابن المقفع عاصر الخلافتين: الأموية والعباسية؛ توسعت مداركه، وزادت مثاقفاته. فقد "عاش ٢٥ سنة في ظل الدولة الأموية، وكان شاهدًا حيًّا على تآكلها وسقوطها، وستة عشر عامًا في ظل الدولة العباسية، وهي في أوج قوتها وعطائها وتناقضاتها"[٢]، فنال هبة الفصاحة والبلاغة وسعة

(١) الذهبي، مُحَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، (لبنان: مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، ٢٠٠١)، الجزء السادس، ص٢٠٨.

* الثقافة: هي اسم جماعي لجميع النماذج السلطوية المكتسبة اجتماعيًا. والتي يتم نقلها عن طريق الرموز، بما في ذلك اللغة والصناعة والفن والعلوم والقانون والحكومة والديانة.

(٢) معتوق، جمال، **إسهامات ابن المقفع في الفكر السياسي الإسلامي**، (الجزائر: مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، د.ت)، المجلد ١، العدد ٨، ص١١.

المعرفة والأسلوب الجميل والحرف الرشيق، وصاغ الحكم والأمثال بأسلوب بلاغي جميل. واستفاد من حنكة فلاسفة اليونان التي تدور في أغلبها حول فكرة التخلي عن اتباع هوى النفس، وعدم التشبث بالدنيا، فيقول في مقدمته: "وينبغي له مع ذلك أن يكون للأمور عنده حد لا يجوزه ولا يقصر عنه، فإنه من جاز الحد كان كمن قصَّر عنه؛ لأنهما خالفا الحد جميعًا"(١).

كانت أفكار ابن المقفع أفكارًا مختلفة وغير مؤتلفة؛ لذلك كان من المرفوضين اجتماعيًّا وسياسيًّا، حاله من حال ابن رشد والحلاج وغيرهم من المفكرين؛ فقُتِل بتهمة الزندقة والمنافقة، ولكن ليس هنالك ما يدل على زندقته، وعلى الأرجح أن هنالك أسبابًا أخرى خفيَّة وراء قتله؛ ومنها أن الساسة تخشى المفكرين، وكان ابن المقفع أحد المؤلفين في مجال نقد السياسة والحكم، ومنها كتاب: (كَلِيلَة ودِمنَة)، وكتابه (رسالة الصحابة)، وآخرون يرجحون أن سبب مقتله هو الكره المتبادل بينه وبين ولي البصرة سفيان(٢).

وضع ابن المقفع مقدمة (عرض الكتاب) كخطة تفصيلية لما يشمله الكتاب ومستويات القراء التي اقترحها، وزوّدها بجملة من القصص التي موضوعها الحكمة والإرشاد والوعظ. تلك التي تماشت مع أحداث العصر الذي ظهر فيه الكتاب؛ إذ استخدم عبد الله بن المقفع في مقدمته الأسلوب الرمزي في قصصه، والتي كانت شخصوها حيوانات، وتشابهت أحداثها مع السمات الثقافية في مجتمعه، وهضمت عُصارة الحضارات السابقة، فجاءت القصص كسلسلة من القضايا المترابطة والتي قد تبدو منفصلة في البداية، ولكن عند التمعن فيها يتضح أنها متصلة، "ليكون ظاهره لهوًا للعامة، وباطنه سياسة للخاصة"؛ فالدال في الكتاب هو حيوان: الأسد، الثور، ابن آوى، والمدلول هو الإنسان: الحاكم، الحاشية، الرعية، الشعب. ولعله يبين أن النظام السياسي الحاكم آنذاك كان نظامًا قمعيًّا متجبرًا.

(١) المقفع، عبد الله، تحقيق: عبد الوهاب عزَّام، **كليلة ودمنة**، (الجزائر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨١)، ص٤٤.

(٢) ينظر: معتوق، جمال: **إسهامات ابن المقفع في الفكر السياسي الإسلامي**، ص١٢، ١٣.

فيقول ابن المقفع في أصل الكتاب: "هذا كتاب (كَلِيلَة ودِمنَة)، وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا ...، فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب ولخصوا فيه من بليغ الكلام ومتقنه على أفواه الطير والبهائم والسباع ...، فإذا احتنك الحدث واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله وتدبر ما كان حفظ منه، وما وعاه في نفسه، عرف أنه قد ظفر من ذلك بكنوز عظام"(١). وفي قوله تشبيه أن الكتاب ما هو إلا مجموعة كنوز من الذهب والفضة، والقصد هنا الكنوز المعرفية. وبيَّن ابن المقفع دوره في ترجمة الكتاب فقال: "وإنا لما رأينا أهل فارس قد فسروا هذا الكتاب، وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية أضفنا بابًا بالعربية"(٢)، وسُطرت في عشر صفحات.

كما يذكر ابن المقفع في مقدمته: "هذا كتاب كليلة ودمنة، وهو مما ألفه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول في النحو الذي أرادوا"(٣). وفيه يؤسس ابن المقفع لعالمية كتابه، ذي الأصل الهندي، وهذا التأصيل في حد ذاته احترام لوجود الآخر؛ إذ عُرف العصر العباسي بالتنوع الحضاري والثقافي؛ نتيجة الحركات التجارية والتثاقف (Acculturation)*، والتمازج الحضاري. فقد شملت بلاد فارس، وبلاد الهند والعرب؛ وتأسيسًا عليه أنتج هذا التداخل فيضًا من المرجعيات التي شكلت محمولات ثقافية لازمت كل أديب مبدع، وكل كاتب فذ؛ فانعكست هذه المحمولات الثقافية في كتاباتهم، وحدثت أفعال المثاقفة (Culturalization) أو الإحساس بالعالم؛ وهي عمليات "التفاعل والتداخل والحوار والاحتكاك بين الثقافات المتنوعة والمختلفة- الطوعي والندي، بما يؤدي إلى

(١) المقفع، عبد الله: **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٣٧، ٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٥، ٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٧.

* التثاقف: هو عملية معقدة تختلف حسب الأوضاع السياسية والتاريخية؛ من استعمار، حروب، أوضاع اقتصادية، هجرات، جماعات متقابلة. وبحسب المدة حسب العناصر الحاملة، لغات، أفكار، نتاجات ثقافية أو مادية.

تغير في الأنماط الثقافية السائدة، بعيدًا عن مفهوم هيمنة ثقافة على أخرى"[١].

فقد امتدت الدولة العباسية في مناطق جغرافية من مختلف بلدان العالم، فشملت معظم البلدان العربية مثل: العراق وبلاد الشام، وبلاد المغرب العربي، مرورًا بمصر ثم الجزيرة العربية. وظلت تتسع حتى وصلت إلى أراضٍ أخرى غير عربية مثل: الهند، بلاد الترك، وبلاد السند، وخراسان والقرن الإفريقي وغيرها، وعليه يمكن القول: إن الدولة العباسية كانت أرضًا حاضنة لأقوام وأممٍ وشعوبٍ متمايزة ثقافيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا ودينيًّا.

وهي بطبيعة الحال مواطن زاخرة بالتفاعلات الثقافية المتعددة (Culture Pluralism)**، بمختلف التوجهات الثيولوجية (Theology)*** توزعت بين مسلمين ونصارى، ويهود وأيزيديين، وإسماعيليين، وصابئة، ومجوس، إلى آخره؛ وجاء ذلك متماشيًا مع منهج التسامح الديني الذي أوصى به ديننا الحنيف، في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢] فيتضح مما سبق أن ابن المقفع لم يفاضل بين الأديان في كتابه. كما دار موضوع الكتاب حول قضية التأصيل إلى القيم الفاضلة، والأخلاق الكريمة في المؤسسات السلطوية خاصة (Hegemony)****، حتى تنعكس هذه الفضائل على الأمم والشعوب أيضًا.

وفي ضوء هذه الإشارات توافقت مقدمة (عرض الكتاب) مع ما صاغته الماركسية (Marxism)* التي تؤمن بأن صلاح المجتمعات يكون بصلاح المؤسسات العليا أو البنى

(١) بوحالة، طارق، (٢٠١٦) **مفهوم النقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة**، (سوريا: مجلة الموقف الأدبي، ٢٠١٦)، العدد ٥٥٤.

** التعددية الثقافية: هي تكوين اجتماعي توافقي يسمح للهويات الثقافية بالتعبير عن نفسها من دون مصادرة الآخر ونبذه، فهي تحترم خصوصية التنوع الثقافي، ولكن في إطار احترام ثقافة الآخر بلا تهميش أو إقصاء.

*** الدينية.

(٢) سورة الكافرون: آية ٦.

**** الهيمنة: هي التسلط أو الرقابة الصارمة التي يفرضها فرد، أو شعب أو مؤسسة أو غير ذلك؛ لتحقيق مصلحة للمتسلط أو الرقيب.

* الماركسية: هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية.

الفوقي (Super Structure)*[*] فتتحسن البنى التحتية (Base Structure)*[**] تلقائيًّا (نظرية ماركس في النقد الثقافي) (١).

المطلب الثاني: السياق الثقافي في الدولة الأموية:

اشتهرت الثقافة العربية في العصر الأموي بالاحتكام القوي بمرتكزات الدين الإسلامي، الذي أنحى ظاهرة العبودية والرق ودعا إلى عبادة الله، وغدت منارة القيم الإسلامية النموذجية. ولكن ما يؤخذ عليهم أنهم كانوا أصحاب اعتداد ثقافي (Ethnocentric)[****]؛ إذ كانوا لا يقبلون بالتداخل غير الإسلامي ويرفضون التمازج الثقافي ولا يقبلون به، ولكنهم فرضوا ثقافتهم بالقوة على الجميع مما يفضي إلى العنف الثقافي (Culture violence)[*****]. ومن ثم لم تحدث -في حدود علمي وتقديري- عمليات مثاقفة في العصر الأموي مما ضيّق العيش على الكثير من غير العرب وغير المسلمين. هذه أحد الأسباب التي دعت ابن المقفع ليجعل من كتابه كتابًا في الإيطيقا/ النظام الأخلاقي (Ethics)[******]؛ لأنه كان يعتنق المجوسية في السابق، فكانت هذه التحيزات الثقافية

** البنية الفوقية: هي السلطة التشريعية والسياسية، والتعليم، والمؤسسات الفاعلة، وهي بنية مؤسسة على كل ما هو مثالي ومدني، وتُبعد كل ما هو متطرف وفاسد.

*** البنية التحتية في الفكر الماركسي: هي نظام العلاقات الاقتصادية في مجتمع ما.

(١) للاستزادة ينظر: بلعزوقي، محمد، **النقد الثقافي والماركسية**، (الجزائر: مجلة المدونة، ٢٠١٧)، مجلد ٤، العدد ٢.

**** يعني بالاعتداد الثقافي اعتقاد الشخص في أنماط السلوك السائدة في مجتمعه هي دائمًا طبيعية أو عادية أو جيدة أو حسنة أو هامة، وأن أفراد المجتمعات الأخرى الغريبة عن مجتمعه يمارسون أنواعًا من أساليب غير إنسانية أو منفرة أو غير معقولة. ويجهل أولئك الأشخاص الذين لا يتقبلون الاختلافات الثقافية القائمة بين المجتمعات الحقيقية.

***** يُقصد بالعنف الثقافي: هو فرض رؤية جماعية أو حزب ما أو سلطة ما على مجتمع متعدد، ويعد انتهاكًا وتعديًا وإنكارًا وتجاهلًا لشخصية الآخر ومتطلبات حياته؛ مما يفضي إلى إثارة الغضب لدى الآخر فينبني على غضبه سلوك عنيف.

****** الإيطيقيا: هي جملة من المبادئ والقيم الإنسانية التي يلتزم بها مجمل الناس حتى يتعايشوا فيما بينهم في إطار (الحرية- المساواة- العدل)، بغض النظر عن لونهم وجنسهم أو دينهم. وقد تأتي بمعنى الأخلاق والقيم.

والثيولوجية مسَّته شخصيًّا، حتى وإن اعتنق الإسلام فيما بعد. غير أن الأمويين غفلوا فكرة أن ثقافة الشخص تختلف باختلاف معتقده الديني، وأعرافه ومحمولاته التي تأسس عليه، ولا يصح تنميط الكل تحت ثقافة معينة –حتى وإن اختلفت دياناتهم. وهذا ما دعانا إليه ديننا الحنيف على مبدأ الاختلاف وعدم الائتلاف المتمثل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1]؛ لأن التمايز والاختلاف يُنتج الإبداع والتميز، فثقافة الاختلاف هي ثقافة غنى ووفرة وتميز ونماء.

وبعد سقوط الدولة الأموية وأفول نجمها، تكونت الدولة العباسية على يد العباس بن المطلب، الذي حاول أن يجعل دولته أرضًا رحبة تسع الجميع؛ فتداخلت الحضارات وتمازجت الشعوب وتصاهرت القبائل، وكل محمَّل بثقافة غنية مغايرة للآخر (Counter Culture)*، وآداب متنوعة، ومعارف كثيرة. وبناءً على هذه المثاقفات، لاحت بعض العادات الهجينة، فأعادت إحياء الثقافة من جديد (Revitalization)**.

وغلبت كذلك نزعة التخلص من النمطية الشعرية (التقيد بالمقدمات الطللية، والرحلة، وتكرر الأغراض) والقيود الأدبية الشعرية والنثرية الأخرى؛ فسطعت النزعة التجديدية والشعوبية، وبدأ الكُتاب والشعراء يخرجون عن عُرف القصيدة المليئة بالقيود والنمطية، وشرعوا ينظمون الشعر في مواضيع جديدة لم تذكر من قبل، وكتابات أدبية متنوعة ومبتدعة؛ فتشكلت بيئة جديدة بكل مقتضياتها الحضارية والمعرفية والفلسفية، فيقول ابن المقفع: "إذ كثرت صنوف أصول العلم ثم تفرعت فروعها– بُدٌّ من أن تكثر العِلل التي تجري عليها أقاويل العلماء"[2].

(١) سورة الحجرات: ١٣.

* الثقافة المضادة/ ثقافة الآخر: هو مصطلح يطلق على حديثًا على أي ثقافة تحل محل الثقافة السائدة بمعناها المألوف.

** إعادة إحياء الثقافة: هي عملية يتم بواسطتها الحفاظ على ثقافة الطبقة المسيطرة، ومن ثم يتم الحفاظ على قوتها السياسية واستمراريتها من جيل إلى الجيل الذي يليه.

(٢) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٣.

المطلب الثالث: السياق الأيدلوجي[**]* في الدولة العباسية:

مما لا شك فيه أن الثقافة هي حالة مستمرة وانتقالية؛ لا تقف عند فترة تاريخية معينة ولا بيئة جغرافية محددة، بل تتنقل وفق ما اصطلح عليه بالتداخل الثقافي أو التعدد الثقافي (Culture Pluralism). وهو ما أفرزته حركات الانتقال والتجارة والترحال والترجمة والهجرات. وعليه، كانت بغداد ملتقى الحضارات العربية والعجمية والإسلامية وغيرها –كما أشرت سابقًا– ولكن على تباين هذه الحضارات والشعوب، تعايشت الأمم المختلفة كأمة واحدة تحت مظلة السيادة العباسية التي تقبلت الجميع، على عكس الدولة الأموية، فكانت السياسة العباسية سياسة منفتحة، ذات ثقافات متعددة بسبب تداخل المجتمعات، فساعد الانتقال السياسي لعاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد على شيوع عادات الفرس وطباعهم، وكان النظام السياسي المتبع هو نظام الشورى، وليس النظام القبلي الوراثي؛ وذلك لأن العرف الإسلامي أقر أن الخلافة في الدين الإسلامي لا تورث.

وبموجب ما لاقاه غير المسلمين من ظلم وكيد وغبن إبان الدولة الأموية؛ آمنوا بأحقية الدولة العباسية للخلافة، وأغلقوا أذهانهم عن معرفة الحق من الباطل، وكرّسوا إيمانهم في أن الخلافة العباسية هي الخلاص من الظلم والجور. يقول ابن المقفع: "قد قيل في أمور شتى من كانت فيه لم يستقم أمره له: منها التواني في العمل، ومنها التضييع للفرص، ومنها التصديق لكل مخبر. ورب رجل يخبر بالشيء لا يقبله، ولا يعرف استقامته فيصدق به لما ير من تصديق غيره. وينبغي له ألا يتمادى في الخطأ"[(١)]؛ وذلك لأن أغلب أصحاب النفوذ كانوا يتسلطون على الشعب ويحرمونهم من حقوقهم، فثارت الدولة العباسية لأنفسهم ولقبائلهم لما وجدوه في الدولة الأموية من تهميش؛ فأفرز النظام العباسي مؤسسة سياسية

**[*] لضرورة البحث قمت بإدماج مصطلح السياق الثقافي والسياسي في مصطلح واحد نعته بالأيدلوجي؛ وذلك لاعتقادي أن الملمح الثقافي لا يتجلى ولا يستقيم إلا ضمن منظومة سياسية؛ ولهذا وجدت أن الشبكة المصطلحية تستقيم للبحث بمصطلح أيدلوجية أفضل من مصطلح سياسي وثقافي منفصلين.

(١) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٩.

قادمة بأفكار ثأرية، ولكن النظام السياسي العباسي كان نظامًا استبداديًّا؛ فالحاكم مُتجبر، وحاشيته راضخة لأمره وخاضعة؛ خوفًا من جبروته. وفي هذا القول رمز ابن المقفع لوزراء الحاكم، بابن آوى المخادع والماكر، الذي يلازم السلطان متلبسًا بلبوس الناسك؛ فيخدم الحاكم ويتقرب منه توقًا إلى إشباع رغباته ومصالحه الخاصة. ففضح ابن المقفع هذه الأدوار المخادعة بغية الإصلاح المجتمعي والأخلاقي للدولة العباسية، وبهدف توجيه المنظومات السياسية والأخلاقية لما هو في صالح مجتمعه. بالإضافة إلى مراده في تنبيه الذين يأمنون الغش بقوله: "وحق على المرء أن يكثر المقايسة، وينتفع بالتجارب. فإذا أصابه الشيء فيه مضرة عليه حذرِه وأشباهَه ... حتى يحذر الشيء بما لقي من غيره؛ فإن لم يحذر إلا الذي لقي بعينه لم يُحكم التجارب في جميع عمره ... وينبغي له أن يحذر ما يصيب غيره من الضرر حتى يسلم من أن يأتيه مثله، ولا يكون مثله كمثل الحمامة التي يؤخذ فرخاها فيذبحان، وترى ذلك في وكرها، ولا يمنعها من الإقامة في مكانها حتى تؤخذ هي فتذبح"[1]. وفي النص إشارة على أن الظلم قد يوقع صاحبه في الهلاك الحتمي، ولهذا نادى ابن المقفع بدحض صور التفرقات المجتمعية والعنصرية والمظاهر السلطوية، والهيمنة (Hegemony) التي شاعت في الدولة العباسية.

المطلب الرابع: السياق الاقتصادي في العصر العباسي:

عمَّت الحياة المترفة بالحلي والزينة والثراء، وتمثل ذلك في معمار الدولة وفي أزياء الناس؛ إذ شاعت طريقة لبس كل طبقة بزي معين. وكانوا يأكلون على أطباق من الذهب والفضة. وهذا ما دعا ابن المقفع لكي يزهد في دنياه، فيقول: "أن يكون لآخرته مؤثرًا على دنياه، فإنه قد قيل: من قل تعلقه بالدنيا قلت حسرته عند فراقها"[2]. وهذه السلوكيات انحصرت على الطبقات ذات النفوذ، على خلاف الطبقات التي عدمت المال وعاشت في

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.

بؤس وقيظ شديد. وعليه كانت الدولة تنقسم إلى قسمين: الأول: مغدق في الثراء الفاحش، والآخر: يجاهد حتى يعيش.

واستمرت هذه العيشة الضنكة غير المتكافئة، لفترات طويلة حتى تسببت في حدوث ثورات داخلية. وبدأ تعلّق الناس بفكرة وجود المهدي المنتظر الذي سيزيل عنهم غياهب هذه المؤسسات الظالمة. فيقول ابن المقفع: "فليس ينبغي لأحد أن ييأس، ولا يطلب ما لا ينال، ولكن لا يدع جهدًا في الطلب على المعرفة (...) وأن يقتدي بالكثير الذين طلبوا فأصابوا"(١). وهنا حث على العمل وطلب الرزق، وألا ينتظروا العدالة من الدولة؛ لأن النظام السياسي هضم حقوقهم، وعاملهم بإثنيتهم (Ethnicity)*.

ومن هذه الخلفيات الثقافية والاجتماعية قُسم المجتمع في العصر العباسي إلى عدة أقسام:

- **الفرس**: وهم الطبقة الحاكمة، وكانوا أصحاب نفوذ، وقاموا على تولي النظام السياسي في الدولة؛ أي: أنهم أصحاب السلطة، وفي هذا رد اعتبار واضح وصريح لغير العربي عن المعاناة التي وجدها في الدولة الأموية.
- **الروم**: طبقة تلي الطبقة الحاكمة، فكانوا يعملون في بلاط الحكماء والقصور؛ من جوار وغلمان، ويمثلون الطبقة المتوسطة. ولكن كانت لهم مزية تخصهم وحدهم دون باقي الطبقات؛ فقد كانت الجواري يتعلمن وتختبر ثقافتهن، وكنّ ينظمن الأشعار وبديع الكلم. يقول ابن المقفع: "والعلم لا يتم لامريء إلا بالعمل، والعلم هو الشجرة، والعمل هو الثمرة"(٢).

(١) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٨، ٤٩.

* الإثنية: هي مصطلح يشير إلى الجماعات العرقية أو القومية المختلفة التي تتحدد وفقًا لما يشترك فيه أفراد كل جماعة من ممارسات ومعايير وأنساق.

(٢) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٥.

- **الزنوج** (ذوو البشرة السمراء): كانوا يجلبونهم من مختلف الدول للعمل في الزراعة والحصاد والصناعة؛ أي طبقة كادحة تعمل في البيوت. وفي هذا تمييز عِرقي وتفاضل غير محمود، فيقول: "لا ينبغي للعالم أن يعيب أحدًا بما هو فيه، فيكون كالأعمى الذي عير الأعور بعوره". فمن البديهي أن يكون الحاكم عارِفًا ومثقفًا؛ ولكن ما حدث فعليًّا هو أن السلطان لا يستفيد من ثقافته ولا علمه، بل عمل وفق ما تمليه عليه نفسه. ويكون في هذه الحالة قد وقع في جهل السابقين في فترة ما قبل الإسلام؛ عندما أحلوا استعباد البشر وتعاملوا بالتفرقات العنصرية.

ومن المفارقات أمثلة على الرجال في العصر العباسي (الرجل الذي بلغني أنه يبيع السمسم[١] ... فلما كان الليل جاء التاجر[٢] .. الرجل الثري..) وفي المقابل (كما أصاب الرجل الذي بلغني أنه كانت به حاجة شديدة، وخلة ظاهرة، وفاقة وعري)[٣]، وهنا إشارة بينة على التباين الكبير بين المستويات المعيشية. ويتضح مما سبق أن فكرة البقاء للأقوى انتشرت في العصر العباسي بصورة صارخة، فلم تكن هناك عدالة اجتماعية. وهذا ما بينه لنا أبو العتاهية في أشعاره التي رصدت هذه التحيزات فنظم أبياتًا صاغ فيها حالات الفقر والعوز، وما لا يرونه من يرونه الحكام فيقول:

إني أرَى الأسْعَار أسعارَ الرعيَّةِ غَالِيهْ
وَأرَى المكَاسِبَ نزْرَة وَأرَى الضَّرُورَةَ غَاشِيَهْ
وَأرَى غُمُومَ الدَّهْرِ رَائِحَةٌ تَمُرُّ وغَـادِيَهْ
وَأرَى اليَتَامَى وَالأَرَامِلَ فِي البُيُوتِ الخَالِيَهْ[٤]

رصدت هذه الأبيات ما حدث في تلك الفترة، وحفظت حق الأحداث التاريخية

(١) المرجع نفسه، ص٤١.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٢.
(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول**، (القاهرة: دار المعارف، ط ٨، د.ت)، ص ١٥٠، ١٥١، والأبيات الشعرية ذكرت في نفس الصفحة من الكتاب بتصرف، القصيدة من بحر مجزوء الكامل.

بطريقة موضوعية خالية من هيمنة الأيديولوجيات والمؤسسات.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي

المطلب الأول: تجليات النقد الثقافي في مقدمة عرض الكتاب:

بيَّن ابن المقفع مستويات القراءة، وفي هذا تصريح بأن ابن المقفع تنبَّه إلى مستويات التلقي عند القُراء. فكان كتابه منارة الإرشاد للمجتمع، وعِماد النصح ومَجمع الأخلاق، وعكس للقارئ حال المنظومات الدينية والفكرية والثقافية في العصر العباسي آنذاك، قائلًا: إن الكتاب في ظاهره ممتع وترفيهي، أما باطنه ففيه النصح والإرشاد. وعليه قسَّم المستويات إلى ثلاثة مستويات:

أولًا: الحكماء أو العلماء الذين ينهلون من بحور النصح والوصايا في الكتاب.

ثانيًا: مستوى المتعلمين الذين يجدون في الكتاب تعاليم وإرشادات تفيدهم في حياتهم.

وثالثًا وأخيرًا: مستوى المغرمين بزخرفة الحكاية والباحثين عن الجوانب المسلية في القصص، فيعلقون السطح غير فطنين لما تحمله الأعماق من أنساق مضمرة ومعانى خفيَّة[١] في قوله: "كان كالرجل يُدرك فيجد أباه قد كنز له من الذهب والفضة، واعتقد له ما استغنى به عن استقبال السعي والطلب"[٢]. فيدحض ابن المقفع طريقة فهم النص بصورته السطحية من دون إعمال العقل في الفهم والتدبير.

أشارت التقسيمات السابقة التي وضعها ابن المقفع إلى أنه كان يعيب على من لا يكلف نفسه عناء الفهم والتفسير وفقه الحكمة، فضرب لهم مثل الذين يجدون أن آباءهم تركوا لهم إرثًا وفيرًا، فيتقاعسون عن طلب العلم والعمل، حتى يصبحوا أرقامًا مضافة في المجتمع. وحضرت هذه الظاهرة في العصر العباسي؛ إذ كان أبناء التجار والملاك لا يعملون

(١) ولات، مُحَمَّد، **مقدمة ابن المقفع (كليلة ودمنة): مستويات القارئ**، (تركيا: مجلة كلية الآداب، جامعة سلجوق، ٢٠١٤)، العدد ٣٢، ص: ١٢٧-١٤٢ بتصرف.

(٢) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٢.

شيئًا، ومع ذلك يكون من نصيبهم رغد الحياة، على عكس المكافحين الذين يعملون ويكدون ويعيشون في تقشف، وهنا مقارنة صريحة بين طبقيتين اجتماعيتين وطبقتين فكرتين متفاوتتين تمامًا. وهذا ما حاول تمريره عندما مثّل للحاكم أو السلطة بالملك المتعجل، المتحكم، السطحي الذي لا يفعل شيئًا حصيفًا. سوى أن يتسلط على شعبه، ويفتقر إلى الاتزان والروية والتدبير. أما الحاشية فقد كانت راضخة له، تعمل معه وتؤيده في أفعاله خوفًا من بطشه وحفاظًا على مكانتها، فقد مثّل لها بالثور، وهو وزير الأسد الذي يهمل عقله وينقاد وراء الحاكم.

ومن الأنساق المضمرة (Culture context) في المقدمة، قصة ذكرها ابن المقفع عن الرجل الذي وجد كنزًا في الصحراء أثناء سيره، فشاور نفسه بين أن يجمع الكنز وحده، غير أنه لن يتمكن من جمعه ونقله إلا بعد عدة أيام، أم أن يستأجر من يساعده؟ فيقول: "إن أنا أحرزت ما هاهنا بنقله وحدي لم أنقله إلا في أيام، وجعلت لنفسي عملًا طويلًا؛ ولكن أستأجر رجالًا يحملونه"[1] حتى يختصر الوقت ويظفر به في وقت مناسب، ولكن كانت النتيجة أن كل شخص أخذ من الكنز ما استطاع وجعله لنفسه هاربًا به.

حملت القصة أنساقًا مضمرةً:

أولها: أن الكنز كان مُلقى في الصحراء، دلالة على ثقافة الترحال والتجارة والتنقل آنذاك، وثراء التجار في المنطقة.

أما الإشارة الثانية: أن الرجل ارتضى أن يأخذ مالًا ليس له، وأراد أن يظفر به وحده؛ أي أنه يفتقر الأمانة، وهذه الصفة السلبية من الصفات التي تفشت في الدولة العباسية بسبب عدم التكافؤ المعيشي بين طبقات المجتمع.

أما الإشارة الثالثة: أن هؤلاء الرجال أخذوا المال وذهبوا به؛ دلالة على ثقافة الطمع والجشع وعدم وجود الثقة بين الناس. فضلًا عن ثقافة اللامبالاة وقلة الاهتمام

(١) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٣.

بالعادات الاجتماعية، وعدم التكافل بين الناس، فكل إنسان يفكر في نفسه فقط. وعِلة ذلك عدم التكافؤ الاجتماعي وجشع المؤسسات ذات النفوذ والسلطة في استلاب مال الشعب والهيمنة عليه.

أما الإشارة الأخيرة من القصة أن الدنيا تدور؛ فما تفعله في الناس يُرد لك؛ لأن الله يأبى الأفعال المشينة، والرجل في القصة استباح مالًا ليس له، فرُد له الصاع صاعين.

ومن الملاحظ أن القصص التي استحضرها ابن المقفع في مقدمته تناغمت مع موضوع الكتاب وغايته في الدعوة إلى مكارم الأخلاق، كما يضيف: "وقد نرى بعض من يقرأ الكتاب فيتعجب منه، ويجهد نفسه في حفظه ويترك العمل به"(١).

ويذكر ابن المقفع في مقدمته قصة الرجل والسارق الذي استولى على بيته، ليضع ومضة دلالية تفيد أن المجتمع آنذاك كان يشكو من مظاهر التفكك الأسري في المجتمع؛ إذ تدور القصة حول رجل يشكو العوز والحاجة والعراء، فطلب من أهله أن يعيروه ما يرتديه، ولكنهم رفضوا أن يعيروه شيئًا، وجاءه سارق ليسرقه؛ ولكنه كان يائسًا فلم يمنع السارق لأن بيته خال لا يحتوي شيئًا ذا ثمن، حتى وجد السارق البُر وأراد سرقته، فصاح به ليتركه، حتى لا يجتمع به جوع وعري. "ألا يتمادى في الخطأ ولا يتوانى في النظر، وينبغي له إذا التبس عليه أمر ألا يلج في شيء منه، ولا يقدم عليه قبل أن يستيقن بالصواب منه". وهنا تظهر المنظومة الأخلاقية، باعتبارها نسقًا ثقافيًا (Culture Context). فيكشف مظاهر الأنانية والجشع التي جعلت الناس يعتدون حتى على الفقراء؛ على الرغم من عيشهم في كنف الظلم والضيم، لم ينجوا من العيش بسلام. وأضاف "أن الأدب يجلو العقول كما يجلو الودك النار ويزيدها ضوءًا"(٢).

وفي هذه الموعظة دعوة صريحة تبين فضل التحصيل والتفقه في الأمور؛ لأن العلم

(١) المرجع نفسه، ص٤١.

(٢) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٠.

ينمّي البصيرة، وينير العقول. وهذا ما حثنا عليه الإسلام وبقية الديانات السماوية التي افتتحت بما يرادف كلمة (اقرأ) في القرآن الكريم. فقد ركز ابن المقفع على ضرورة تحرير العقول بالمعارف، عوضًا عن تجميدها وتنميطها، فمن امتلك عقلًا لبيبًا وجب عليه أن يفكر وينشئ أفكاره فيغدو هو سيد رأيه وقراره. مُدللًا بقصة الرجل الذي سمع خطوات لص في بيته، وفي هذا دلالة على شيوع السرقات آنذاك، والسلوكيات المستقبحة، فقرر صاحب البيت أن يصمت عنه حتى ينتهي اللص من فعله، فيمسك به قبل أن يخرج. ونام صاحب البيت وهو في حالة انتظار، حتى خرج السارق وتوارى عن أنظاره، "فسكت وهو في فراشه، وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه حتى غلب على صاحب البيت النعاس، وحمله النوم، واستيقظ الرجل بعد ذهاب السارق فلم ير في منزله شيئًا، فجعل يلوم نفسه ويعاتبها ويعض كفيه أسفًا، وعرف أن فطنته وعلمه لم ينفعاه شيئًا إذا لم يستعملهما"(١). وفي القصة حكمة رصينة؛ بأن يُحرّك الإنسان عقله قبل أن يقدم على أي تصرف قد يكلفه حياته، فالعلم والأدب سلاحان يعملان على تنقيح العقول، فتصلح بهم المجتمعات.

إلى جانب قصة رشيدة وردت في مقدمة (عرض الكتاب)، حثت على العلم، وفيها ضرب ابن المقفع مثل الأعمى والبصير اللذين وقعا في الجُب فلم يستخدم المبصر بصيرته في رؤية الجب لينقذ نفسه وصاحبه، بل أصبح ضريرًا غير منتفع بما لديه من بصيرة. وفي هذه القصة نسق مضمر (Culture Context) يرمز إلى أن نعمة العقل والمعرفة والمال كانت حاضرة في العصر العباسي؛ ولكن سوء استخدام النعم القيمة كان سببًا في انهيار منظومات الدولة القيمية والأخلاقية، فيكون المتعلم والمثقف (The culturist)* نبراسًا لأمته ولثقافته

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* المثقف: هو من ينتج ثقافة بمجهود فردي، ويملك غاية إيصال ذلك المنتج إلى متلقٍ ليس لكسب المال أو نيل الامتيازات، وإنما للإسهام في سيرورة المجتمع.

وشعبه، ولا يرضى بما دون حقه. ومن واجبات المتعلم أن يشاطر الناس علمه حتى ينتفعوا به، فيُنجي الأمم من ظلماتها، ويُخلّص المجتمع من انحدار قيمها الثقافية، والتي قد تتفشى فيها عبر ثقافة الجهل (Culture of Nescience)* التي تسلطها المؤسسات. كما صرّح ابن المقفع أن أكثر الناس ملامة من عرف أهمية فعل الخير، وتوقف دون أن يفعله؛ وهذا لأن الواقع الحياتي المعاش في العصر العباسي كان مبتذلًا –في كثير من الأحيان– وكان أغلب الناس يفضلون اللهو عن العمل الصالح، وهذا ما تدل عليه الاستجابة الثقافية (Cultural Response)*.

ومن أشكال السياق الاجتماعي الذي ظهر فيه الكتاب أن الطبقات الكادحة احتلت أسفل الهرم الاجتماعي، وبالتالي لم تكن ثمة عدالة مجتمعية ولا مساواة في فرص العيش. ومن المفارقات أمثلة على الرجال في العصر العباسي (الرجل الذي بلغني أنه يبيع السمسم ... فلما كان الليل جاء التاجر ... الرجل الثري) وفي المقابل (كما أصاب الرجل الذي بلغني أنه كانت به حاجة شديدة، وخلة ظاهرة، وفاقة وعري)، وهنا علامة على فجوة التباين/ الطبقة (Class)** بين المستويات المعيشية بين أفراد المجتمع الواحد.

بجانب قصة الرجل الذي طلب أن يتعلم اللغة والأدب، فأتى إلى صديقه بصحيفة، وطلب منه أن يكتب له فيها شيئًا من علوم اللغة حتى يتعلمها بشكلها الصحيح ويتقنها،

** ثقافة الجهل: هي الثقافة التي يدّعي حاملوها أنهم على صواب دائم ومطلق، أما الخطأ فهو عند غيرهم، وهي ثقافة الانغلاق ورفض الآخر وازدراء فكره.

* عرَّفها معجم مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، أنها تتمثل في القيام ببعض الأنشطة الاجتماعية التي تتصل بالجوانب الإيكولوجية والنواحي الاجتماعية، وأن أي سمة ثقافية جزئية لا يمكن أن تفسر إلا بردها إلى سياقها الثقافي الكلي الذي يعطيها مبناها ومعناها. للاستزادة ينظر: سمير خليل، **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي**، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م، ص٢٣، ٢٤.

** الطبقة: هي أحد المفاهيم الأساسية في النظرية الماركسية، وهي جماعة لها سمة واحدة على الأقل مشتركة. وتشير إلى المقولات المعتمدة على المصادر الاقتصادية للمجموعات المتخلفة من الناس في مجتمع بعينه، وإلى التنظيمات الثقافية والاجتماعية التي تنبثق من هذا التقسيم، ولكل طبقة اقتصادية آثار ثقافية خاصة بها.

فباشر صديقه في الكتابة. ثم عاد الرجل إلى بيته والصحيفة معه ولكنه لا يعلم ما فيها من معارف، سوى أنها العربية. وأخذ يقرؤها حتى أتقن قراءتها، فذهب إلى مجلس وشرع يقرأ ما فيها حتى قال له أحدهم: (لحنت)، فقال له: "ألحن والصحيفة الصفراء في منزلي؟! فالمرء حقيق أن يطلب العلم"(١). وهنا يمكن أن نستدل على تداخل الثقافات والأمم في العصر العباسي؛ أي أن منهم أقوام عرفوا العربية ومنهم من تعلمها (كالفرس وغيرهم من الأعاجم). وعليه وضع ابن المقفع حكمته قائلًا: "فإنه يقال في أمرين لا ينبغي لأحد أن يقصر فيهما: حسن العمل والتزود للآخرة"(٢)، ولم يقل: كن عربيًّا، ولا أتقن العربية، فهذا مقياس التفاضل بين الناس، فلا يحق تصغير جهد وعمل أي شخص، مهما اختلفت ديانته.

وأضاف "أن الأدب يجلو العقول كما يجلو الودك النار ويزيدها ضوءًا"(٣). وفي هذه الموعظة دعوة صريحة تبين فضل التحصيل والتفقه في الأمور؛ لأن العلم ينمي البصيرة، وينير العقول، وهذا ما حثنا عليه الإسلام وبقية الديانات السماوية التي افتتحت بما يرادف كلمة (اقرأ) في القرآن الكريم؛ ذلك لأن المجتمع الواعي هو المجتمع النموذجي. فقد ركز ابن المقفع على ضرورة تحرير العقول بالمعارف، عوضًا عن تجميدها وتنميطها، فمن امتلك عقلًا لبيبًا وجب عليه أن يفكر وينشئ أفكاره فيغدو هو سيد رأيه وقراره. مُدللًا بقصة الرجل الذي سمع خطوات لص في بيته –دلالة على تفشي السرقات، والسلوكيات المستقبحة– فقرر أن يصمت عنه حتى ينتهي، فيمسك به قبل أن يخرج، ولكن صاحب البيت نام وهو في حالة انتظار، حتى أفل السارق من البيت. "فسكت وهو في فراشه، وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه حتى غلب على صاحب البيت النعاس، وحمله النوم، واستيقظ الرجل بعد ذهاب السارق فلم ير في منزله شيئًا، فجعل يلوم نفسه ويعاتبها ويعض كفيه

(١) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٣.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٤.
(٣) المرجع نفسه، ص٤٥.

أسفًا، وعرف أن فطنته وعلمه لم ينفعاه شيئًا إذا لم يستعملهما"[١]. فيجب على الإنسان أن يحرك عقله قبل أن يقدم على أي تصرف قد يكلفه حياته، فالعلم والأدب سلاحان يعملان على تفتيح العقول، فتصلح المجتمعات.

أما الحكمة التالية في المقدمة، قدمت مبادئ الحث على نشر العلم، فيضرب الكاتب مثل الأعمى والبصير اللذين وقعا في الجب فلم يستخدم المبصر بصيرته في رؤية الجب، لينقذ نفسه وصاحبه؛ بل أصبح ضريرًا غير منتفع بما لديه من بصيرة. وفي هذه القصة نسقٌ مضمر (Culture Context) يرمز إلى أن نعمة العقل والمعرفة والمال كانت حاضرة في العصر العباسي، ولكن سوء استخدام هذه الموارد القيمة كان سببًا في انهيار منظومات الدولة القيمية والأخلاقية.

ووضَّح ابن المقفع أن منارة العلم لن تشتعل إلا عند طلبه، فلن يُقدم على طبق من ذهب مثل المال والجاه والإرث؛ لأن من جد واجتهد حاز على العلوم، وأن من واجبات المتعلم أن يشاطر الناس علمه حتى ينتفعوا به؛ فيُنجي الأمم من ظلماتها، ويخلص المجتمعات من انحدار قيمها الثقافية التي قد تتفشى فيها عبر سياسات التجهيل التي تسلطها المؤسسات، فيكون الفرد والمجتمع تحت رحمتها. كما صرَّح ابن المقفع أن أكثر الناس لومًا من عرف أهمية فعل الخير، وتوقف دون أن يفعله؛ وهذا لأن الواقع الحياتي المعاش في العصر العباسي كان مبتذلًا –في كثير من الأحيان– وكان أغلب الناس يفضلون اللهو عن العمل الصالح الاستجابة الثقافية (Cultural response)*.

توصل البحث إلى خلاصة مفادها أن مقدمة عرض الكتاب، جاءت متضمنة لمجمل السياقات الثيولوجية والنسقية الثقافية والسياسية التي كانت في العصر العباسي، الذي يحكمه النظام الفارسي. وكانت مؤسسات الدولة تهيمن على المعرفة فجعلتها من نصيب الطبقات

(١) المقفع، عبد الله، **كَلِيلَة ودِمنَة**، ص٤٥.

* الاستجابة الثقافية تعني أي سمة ثقافية جزئية لا يمكن أن تفسر إلا بردها إلى سياقها الثقافي الكلي الذي يعطيها مبناها ومعناها، كما أن كل حاجة إنسانية تقابلها استجابة ثقافية معينة.

الحاكمة، والجواري والغلمان الذين يحيطون بالحاكم. وهذا الاحتكار ليس عفويًّا؛ لأن العلم سلاح ثقافي وسياسي خطير، ولكن في المقابل كان هذا التسلط في طبيعة المعارف التاريخية والدينية منتجًا للقهر الثقافي. وهنا حاول البحث الإجابة عن التساؤل الذي دار حول شعبوية الثقافة في العصر العباسي. فالثقافة عندما تصبح شمولية داخل المنظومات الاجتماعية تتبدل لتصبح نمطًا، وهذا نقيض الفعل الثقافي الذي لا يستقيم مع تسلط المؤسسات المهيمنة، وأن يكون بالتخيير عبر المحفزات الشعورية للإنسان، وليس بالتسيير والتسلط، فيصبح الفعل الثقافي قهريًّا غير إرادي. وتأسيسًا على هذه الأنساق الثقافية التي انكشفت في العصر العباسي ظهرت الحركات الشعبوية بشكل صارخ؛ إذ قسمت المجتمع إلى أقسام وطبقات غير متوازنة. وهذا التقسيم ظالم وقاهر. وبالتالي، فإن هذه المتفرقات أثمرت الأمراض الثقافية، مع العلم بأن التنوع الثقافي كان بيّنًا؛ فإذا ما تم استثمار هذا التنوع بشكله الصحيح لاستطاعت الثقافة أن تكون مبتدعة وخلَّاقة عوضًا عن كونها تابعة لثقافات قد نتقاطع معها (مثاقفة فردية)، أو قد يتقاطع معها المجتمع (مثاقفة جماعية).

خاتمة:

من بعد بحث وجهد، توصلت إلى أن مقدمة عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفع، تضمنت مجمل السياقات الثيولوجية والثقافية والسياسية التي تجلت في العصر العباسي إبان الحكم الفارسي، حينما كانت مؤسسات الدولة تهيمن على مصادر المعرفة في الدولة فجعلتها من نصيب الطبقات الحاكمة؛ مما أنتج قهرًا ثقافيًّا واجتماعيًّا وتاريخيًّا. ونتيجة لهذه الهيمنة ظهرت الحركات الشعبوية في المجتمع وبدأت الفجوات الثقافية في الظهور، فانشطر المجتمع إلى أقسام وطبقات غير متكافئة أنتجت أمراضًا ثقافية (Culture epidemiology)*. وفي رأيي إذا استُثمرت أفعال المثاقفة بصورها البناءة لكان العصر العباسي مبتدعًا وخلاقًا ومحافظًا على مكانته، وعليه انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج مفادها:

١. نادى ابن المقفع بالمؤسسة القيمية الأخلاقية، لعدّها قيمة حضارية توعي المجتمع وتولّد مجتمعًا مثقفًا، الإنتلجنسيا (Intelligentsia)** .
٢. تثاقفت الأمم والشعوب في العصر العباسي نتيجة التفاعل الثقافي الحاصل آنذاك.
٣. تشابهت الفترة التاريخية التي عاصرها ابن المقفع بالفسيفساء الثقافية ذات الأبعاد الإغريقية، والفارسية، والهندية، والعربية، وغيرها.
٤. كل نص أدبي قابل لتعدد القراءات الثقافية الكاشفة لمضمراته ومحمولاته.
٥. فُعّل النسق الثقافي (Culture Context) في مقدمة عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع في مقدمته، من خلال القصص الرمزية التي كتبها.

* درجة انتشار مختلف أصناف الاضطرابات العقلية والنفسية في المجتمعات المتعددة، وارتباط ذلك بالثقافة نفسها كعامل مسيطر من بين كل العوامل الأخرى.

** الإنتجلنسيا أو الفئة المثقفة: هي طبقات هادفة إلى إقامة التطور الديموقراطي معتبرًا إياها الطليعة المثقفة والفئة القادرة/ المؤهلة على صوغ أيدلوجية متكاملة للتطور، مستندة إلى التقاليد المحلية والشعور القومي والمبدأ الديموقراطي.

التوصيات

وعود على بدء أوصي ببعض التوصيات:

١. الاهتمام بالدراسات الثقافية عند تحليل النصوص الأدبية؛ شعرية أم نثرية.

٢. البحث في المدونات التراثية وفق آليات نقدية حديثة ومعاصرة.

٣. حث الباحثين المهتمين على الغوص في المدونات التراثية؛ لغناها بالمرجعيات الثقافية التي تكشف الأنساق المضمرة في النصوص.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش

أ. المصادر:

١- المقفع، عبد الله، تحقيق عبد الوهاب عزَّام، **كليلة ودمنة**، (الجزائر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨١).

٢- منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، تحقيق نخبة من الأساتذة، **لسان العرب**، (القاهرة: دار الحديث، ط١، ٢٠٠٣).

ب. المراجع العربية:

١- إبراهيم، عبد الله، **الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية**، (قطر، مجلة علامات، (٢٠٠٥)، العدد ٢٣).

٢- بعزيز، سلاف، **التأَّصيل النظري لمصطلح المرجعية في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة**، (الجزائر: جامعة الشهيد حمة لخضر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، د.ت) المجلد ٧، العدد ٨.

٣- بعلي، حفناوي، **عز الدين المناصرة ناقدًا أدبيًّا وثقافيًّا مقارنًا**، (الجزائر: مجلة التواصل الأدبي، ط١، ١٩٨١).

٤- بلعزوقي، مُحَمَّد، **النقد الثقافي والماركسية**، (الجزائر: مجلة المدونة، ٢٠١٧)، مجلد ٤، العدد ٢.

٥- بوحالة، طارق، **مفهوم النقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة**، (سوريا: مجلة الموقف الأدبي، ٢٠١٦) العدد ٥٥٤.

٦- التويجري، صالح بن عبد الله بن صالح، **المرجعيات الثقافية وأثرها في بناء الشخصية في لوحات سردية من السيرة الذاتية لأحمد درويش**، (مصر: جامعة بنها، كلية الآداب، د.ت) العدد ٣٨، الجزء١.

٧- الخليل، سمير، **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي**، (لبنان: دار الكتب العلمية، بدون طبعة، ١٩٧١).

٨- الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، (لبنان: مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، ٢٠٠١)، الجزء السادس.

٩- ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول**، (القاهرة: دار المعارف، ط٨، د.ت).

١٠- علوش، سعيد، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، (لبنان، دار الكتب اللبناني، المغرب: سوشبريس، ط١، ١٩٨٥).

١١- علي، مُحَمَّد جواد، **توظيف المرجعيات الثقافية في شعر مُحَمَّد مردان**، (الجزائر: منشورات ضفاف/ دار الأمان للنشر والتوزيع/ منشورات الاختلاف، بدون طبعة، ٢٠١٣).

١٢- الغذامي، عبد الله، **النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٥).

١٣- غفراني، مُحَمَّد، **عرض وتحليل لكتاب كليلة ودمنة**، (تركيا: كلية الإلهيات، د.ت).

١٤- معتوق، جمال، **إسهامات ابن المقفع في الفكر السياسي الإسلامي**، (الجزائر: مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، د.ت) المجلد ١، العدد ٨.

١٥- المناصرة، عز الدين، **النقد الثقافي منظور جدلي تفكيكي**، (عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥).

١٦- ولات، مُحَمَّد، **مقدمة ابن المقفع (كليلة ودمنة): مستويات القارئ**، (تركيا: مجلة كلية الآداب، جامعة سلجوق، ٢٠١٤)، العدد ٣٢.

ثبت المصطلحات

المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الإنجليزية
الأيدلوجية	Ideology
الاعتداد الثقافي	Ethnocentric
النظام الأخلاقي	Ethics
إعادة إحياء الثقافة	Revitalization
الهيمنة	Hegemony
ثيولوجيا	Theology
ثقافة الجهل	Culture of Nescience
النسق الثقافي/ المضمر	Culture context
الثقافة	Culture
المثاقفة	Culturalization
التثاقف	Acculturation
المثقف	The culturist
العنف الثقافي	Culture violence
الماركسية	Marxism
الطبقة	Class
البنية الفوقية	Super Structure
البنية التحتية	Base Structure
الثقافة المضادة	Counter Culture
التعددية الثقافية	Culture Pluralism
الإيطيقيا/ النظام الأخلاقي	Ethics
الاستجابة الثقافية	Cultural Response
الإثنية	Ethnicity
الأمراض الثقافية	Culture epidemiology
الإنتلجنسيا	Intelligentsia
الأمراض الثقافية	Culture epidemiology